



د. قاسم سعد

فقال: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين». ومرة كان النبي ﷺ أخذًا بيد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال له عمر: «يا رسول الله، لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي»، فقال النبي ﷺ: لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك، فقال له عمر: فإنه الآن، والله لأنت أحب إلي من نفسي، فقال النبي ﷺ: الآن يا عمر.

فتبيننا ﷺ حقيق وخلق بهذا الحب الأسمى، لأننا به أنقذنا من ضيق الدنيا وعذاب الآخرة، وبه أخرجنا من العمى إلى الهدى، وبه تحولنا من الذلة إلى العزة، ومن الظلام إلى النور: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا. وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا» (الأحزاب: ٤٥-٤٦).

النبي ﷺ حري وجدير بهذا الحب

الناس حبه سبحانه وحب نبيه ﷺ أكثر من حبهم لأبائهم وأبنائهم وإخوانهم وعشيرتهم، قال تعالى: «قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ» (التوبة: ٢٤)، ولن تجد أيها المسلم طعم الإيمان ولذته وحلاوته حتى يدخل في قلبك هذا الحب الأمثل لله ولرسوله ﷺ، وفي ذلك يقول ﷺ: «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يُقذف في النار». وأكد النبي ﷺ هذا المعنى السامي في حديث آخر

إن كل أمة تعزز بتكريم رجالها، الذين حققوا لها اكتفاء، أو أبلوا في سبيلها بلاءً، أو حرّكوا من أجلها لواءً، وإن أمة الإسلام لن ترى سيّدًا أكرم وأعظم وأرحم وأعلم وأحكم من مُقدّم الخلق محمد بن عبد الله، فهو عميدها ورشيدها وحميدها، وهو إمامها وقوامها ونظامها:

وأعظم منك لم ترقط عيني وأجمل منك لم تلد النساء وُلدت مبرءًا من كل عيب كأنك قد خلقت كما تشاء ولست متصديقًا في هذه العجالة لذكر فضائل سيد الورى محمد بن عبد الله ﷺ لأنهما بحر لا ساحل له، وفضاء لا آخر له، وحسبي أن أشير إلى طرف من وجوب محبته ﷺ، ومما أثر من محبة أصحابه له.

لقد أوجب الله سبحانه وتعالى على

♦ باحث دراسات إسلامية لبناني

هكذا تكون القيادة الرشيدة .. تدفع الغرم عن الناس وتترك لهم المغنم

الأمثل، لأنه أولى بكل مؤمن من نفسه، قال الله تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ (الأحزاب: ٦)، وقال عليه الصلاة والسلام: «أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فمن توفي وعليه دين فعليّ قضاؤه، ومن ترك مالا فهو لورثته»، هكذا تكون القيادة الرشيدة الرحيمة تدفع الغرم عن الناس، وتترك لهم الغنم.

ولو استعرضنا مدى حب الصحابة للنبي ﷺ لوجدنا نماذج فريدة، وروائع نفيسة، لا يجد التاريخ مثلاً، ولا ما يقاربها: فلما أسر المسلمون سيد أهل الإمامة ثمامة بن أثال جسيء به إلى النبي ﷺ، ثم أمر النبي ﷺ بإطلاق سراحه، فانطلق ثمامة إلى نخل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله. يا محمد: والله ما كان على الأرض وجه أبغض إليّ من وجهك فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إليّ، والله ما كان من دين أبغض إليّ من دينك فأصبح دينك أحب الدين إليّ، والله ما كان من بلد أبغض إليّ من بلدك فأصبح بلدك أحب البلاد إليّ. ثم أراد أن يعتمر، فلما قدم مكة وأهلها على الكفر، قال له قائل: صَبَوْتَ؟ قال: لا والله، ولكن أسلمت مع محمد ﷺ، ولا والله لا يأتیکم من الإمامة حبة حنطة حتى يَأْذَنَ فيها النبي ﷺ. ثم خرج إلى الإمامة فمنعهم أن يحملوا إلى مكة شيئاً، فكتب أهل مكة إلى النبي ﷺ وهم على الكفر: إنك تأمر بصلة الرحم، فكتب إلى ثمامة أن يخلي بينهم وبين الحمل إليهم.

وقالت هند بنت عتبة بن ربيعة زوج أبي سفيان بن حرب وهي التي لاكت بفمها كبد سيد الشهداء حمزة بن عبدالمطلب في غزوة أحد، لما وقر الإيمان في قلب هذه المرأة قالت للنبي ﷺ: «يا رسول الله، ما كان مما على ظهر الأرض أهْلُ خِباءٍ - (أي بيت) - أحب إليّ أن يذُلوا من أهل خِباءك، ثم

ما أصبح اليوم أهل خِباء أحب إليّ أن يعزوا من أهل خِباءك».

لقد بلغ من حب الصحابة وتعظيمهم للنبي ﷺ ما حكاه عروة بن مسعود الثقفي كبير قومه قبل إسلامه لما تفاوض مع النبي ﷺ عام الحديبية، قال عروة لأصحابه كفار مكة: «أي قوم، والله لقد وفدت على الملوك، ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي، والله إن رأيْتُ ملكاً قط يعظّمُ أصحابه ما يعظّمُ أصحاب محمد محمداً، والله إن يتنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فدلّك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلموا خفَضُوا أصواتهم عنده، وما يُحدّثون إليه النظر تعظيماً له».

وعندما أراد النبي ﷺ فتح مكة، أرسلت قريش سيدها أبا سفيان بن حرب ليطيل أمد الصلح بينهم وبين المسلمين، فلما قدم المدينة دخل على ابنته أم حبيبة زوج النبي ﷺ، فلما ذهب ليجلس عندها على فراش رسول الله ﷺ طوّته عنه، فقال: يا بُنَيَّةُ، ما أدري أرغبت بي عن هذا الفراش أم رغبت به عني؟ قالت: بل هو فراش رسول الله ﷺ وأنت رجل مشرك نجس، فلم أحب أن تجلس على فراش رسول الله ﷺ، قال: والله لقد أصابك يا بُنَيَّةُ بعدي شرٌ.

وهذا زيد بن الدثنة رضي الله عنه المشركون وقدموه للقتل، فقال له أبوسفيان بن حرب لما قدم للقتل: أنشدك الله يا زيد، أحب أن محمداً عندنا الآن في مكانك نضرب عنقه

وأنك في أهلك؟ قال: والله ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وأني جالس في أهلي، قال أبوسفيان: ما رأيْت من الناس أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً، ثم قُتل زيد بن الدثنة بالسيف رضي الله عنه.

وحادثة أخرى وهو أنه كان للعباس بن عبدالمطلب عم النبي ﷺ ميزاب على طريق عمر، فلبس عمر ثيابه يوم الجمعة، وقد كان ذُبِح للعباس فَرخان، فلما وافى الميزاب صَبَّ فيه ماء، فيه من دم الفرخين، فأصاب عمر، فأمر عمرُ بقلعه، ثم رجع عمرُ فطرح ثيابه ولبس غيرها، ثم جاء فصلى بالناس، فأثاه العباس فقال: والله إنه للموضع الذي وضعه رسول الله ﷺ، فقال عمر للعباس: فأنا أعزم عليك لما أصعدت على ظهري حتى تضعه في الموضع الذي وضعه رسول الله ﷺ، ففعل ذلك العباس.

وهذا أبوسفيان بن الحارث بن عبدالمطلب وهو ابن عم النبي ﷺ كان يبغض النبي ﷺ بغضاً شديداً، فلما أسلم صار النبي ﷺ أحب الناس إليه، ولما قبض رسول الله ﷺ رثاه أبوسفيان بن الحارث بأبيات منها:

أَرْقَتْ فَبَاتَ لَيْلِي لَا يَزُولُ
وَلَيْلُ أَخِي الْمَصِيبَةِ فِيهِ طَوْلُ
فَقَدْ عَظُمَتْ مَصِيبَتُنَا وَجَلَتْ
عَشِيَّةُ قَيْلٍ قَدْ قُبِضَ الرَّسُولُ
فَلَمْ نَرِ مِثْلَهُ فِي النَّاسِ حَيًّا
وَلَيْسَ لَهُ مِنَ الْمَوْتَى عَدِيلُ
أَفَاطَمُ إِن جِزَعْتَ فَذَاكَ عُذْرُ
وَإِنْ لَمْ تَجْزَعِي فَهُوَ السَّبِيلُ
وَقَوْلِي فِي أَبِيكَ وَلَا تَمْلِي
وَهَلْ يَجْزِي بِفَضْلِ أَبِيكَ قَيْلُ
فَقَبْرِ أَبِيكَ سَيْدُ كُلِّ قَبْرِ
وَفِيهِ سَيِّدُ النَّاسِ الرَّسُولُ
فصلوات الله وتسليماته وبركاته على هذا الرسول الكريم، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.